

تفسير ابن كثير

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ
الْغَافِلِينَ

ولهذا قال تعالى : (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن) بسبب

إيحائنا إليك هذا القرآن . وقد ورد في سبب نزول هذه الآيات ما رواه ابن جرير : حدثني

نصر بن عبد الرحمن الأودي . حدثنا حكام الرازي ، عن أيوب ، عن عمرو ، هو ابن قيس

الملائي ، عن ابن عباس قال : قالوا : يا رسول الله ، لو قصصت علينا ؟ فنزلت : (نحن

نقص عليك أحسن القصص) . ورواه من وجه آخر ، عن عمرو بن قيس مرسلًا . وقال

أيضا : حدثنا محمد بن سعيد العطار ، حدثنا عمرو بن محمد ، أنبأنا خالد الصفار ، عن

عمرو بن قيس ، عن عمرو بن مرة ، عن مصعب بن سعد عن سعد قال : أنزل على النبي

- صلى الله عليه وسلم - القرآن ، قال : فتلا عليهم زمانا ، فقالوا : يا رسول الله ، لو

قصصت علينا . فأنزل الله عز وجل : (الر تلك آيات الكتاب المبين) إلى قوله : (لعلمكم

تعقلون) . ثم تلا عليهم زمانا ، فقالوا : يا رسول الله ، لو حدثتنا . فأنزل الله عز وجل : (

اللَّهُ نزل أحسن الحديث) الآية [الزمر : 23] ، وذكر الحديث .ورواه الحاكم من حديث إسحاق بن راهويه ، عن عمرو بن محمد القرشي العنقزي ، به .وروى ابن جرير بسنده ، عن المسعودي ، عن عون بن عبد الله قال : مل أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ملة ، فقالوا : يا رسول الله ، حدثنا . [فأنزل الله : (الله نزل أحسن الحديث) ثم ملوا ملة أخرى فقالوا : يا رسول الله ، حدثنا [فوق الحديث ودون القرآن - يعنون القصص - فأنزل الله : (الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين) فأرادوا الحديث ، فدلهم على أحسن الحديث ، وأرادوا القصص فدلهم على أحسن القصص .ومما يناسب ذكره عند هذه الآية الكريمة ، المشتملة على مدح القرآن ، وأنه كاف عن كل ما سواه من الكتب ما قال الإمام أحمد : حدثنا سريج بن النعمان ، أخبرنا هشيم ، أنبأنا مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر بن عبد الله ; أن عمر بن الخطاب أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه على النبي - صلى الله عليه وسلم - فغضب وقال : " أمتهم كون فيها يابن الخطاب ؟ والذي

نفسى بيده ، لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه ،
أو يبطل فتصدقونه ، والذي نفسى بيده ، لو أن موسى كان حيا ، لما وسعه إلا أن يتبعني
"وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا سفيان ، عن جابر ، عن الشعبي ، عن
عبد الله بن ثابت قال : جاء عمر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول
الله ، إني مررت بأخ لي من قريظة ، فكتب لي جوامع من التوراة ، ألا أعرضها عليك ؟
قال : فتغير وجه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . قال عبد الله بن ثابت : فقلت له :
ألا ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : رضينا بالله ربا ، وبالإسلام
دينا ، وبمحمد رسولا . قال : فسري عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال : " والذي
نفس محمد بيده ، لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم ، إنكم حظي من
الأمم ، وأنا حظكم من النبيين " . وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا عبد الغفار بن
عبد الله بن الزبير ، حدثنا علي بن مسهر ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن خليفة بن
قيس ، عن خالد بن عرفطة قال : كنت جالسا عند عمر ، إذ أتني برجل من عبد القيس
مسكنه بالسوس ، فقال له عمر : أنت فلان بن فلان العبدي ؟ قال : نعم . قال : وأنت

النازل بالسوس ، قال : نعم . فضربه بقناة معه ، قال : فقال الرجل : ما لي يا أمير المؤمنين
؟ فقال له عمر : اجلس . فجلس ، فقرأ عليه : (بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات
الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك [أحسن القصص])
إلى قوله : (لمن الغافلين) فقرأها ثلاثا ، وضربه ثلاثا ، فقال له الرجل : ما لي يا أمير
المؤمنين ؟ فقال : أنت الذي نسخت كتاب دانيال ! قال : مرني بأمرك أتبعه . قال : انطلق
فامحه بالحميم والصفوف الأبيض ، ثم لا تقرأه ولا تقرئه أحدا من الناس ، فثن بلغني عنك
أنك قرأته أو أقرأته أحدا من الناس لأنهنك عقوبة ، ثم قال له : اجلس ، فجلس بين
يديه ، فقال : انطلقت أنا فاتسخت كتابا من أهل الكتاب ، ثم جئت به في أديم ، فقال
لي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : " ما هذا في يدك يا عمر ؟ " . قال : قلت : يا رسول
الله ، كتاب نسخته لنزداد به علما إلى علما . فغضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
حتى احمرت وجنتاه ، ثم نودي بالصلاة جامعة ، فقالت الأنصار : أغضب نبيكم صلى
الله عليه وسلم ؟ السلاح السلاح . فجاءوا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله ، صلى الله عليه
وسلم ، فقال : " يا أيها الناس ، إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه ، واختصر لي

اختصارا ، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تتهوكوا ، ولا يغرنكم المتهوكون " . قال عمر :
فقلت : رضيت بالله ربا وبالإسلام ديننا ، وبك رسولا . ثم نزل رسول الله صلى
الله عليه وسلم . وقد رواه ابن أبي حاتم في تفسيره مختصرا ، من حديث عبد الرحمن بن
إسحاق ، به . وهذا حديث غريب من هذا الوجه . وعبد الرحمن بن إسحاق هو أبو شيبة
الواسطي ، وقد ضعفه وشيخه . قال البخاري : لا يصح حديثه . قلت : وقد روي له شاهد
من وجه آخر ، فقال الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي : أخبرني الحسن بن
سفيان ، حدثنا يعقوب بن سفيان ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدي ، حدثني
عمرو بن الحارث ، حدثنا عبد الله بن سالم الأشعري ، عن الزبيدي ، حدثنا سليم بن
عامر : أن جبير بن نفيير حدثهم : أن رجلين كانا بحمص في خلافة عمر ، رضي الله عنه
، فأرسل إليهما فيمن أرسل من أهل حمص ، وكانا قد اکتبا من اليهود صلاصة
فأخذاها معهما يستفتيان فيها أمير المؤمنين ويقولون : إن رضيها لنا أمير المؤمنين ازددنا
فيها رغبة . وإن نهانا عنها رفضناها ، فلما قدما عليه قالوا إنا بأرض أهل الكتابين ، وإننا
نسمع منهم كلاما تقشع منه جلودنا ، أفأخذ منه أو نترك ؟ فقال : لعلكما كتبتما منه

شيئا . قال لا . قال : سأحدثكما ، انطلقت في حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
حتى أتيت خبير ، فوجدت يهوديا يقول قولا أعجبني ، فقلت : هل أنت مكتبي ما تقول ؟
قال : نعم . فأتيت بأديم ، فأخذ يملي علي ، حتى كتبت في الأكرع . فلما رجعت قلت :
يا نبي الله ، وأخبرته ، قال : " اتني به " . فانطلقت أرغب عن المشي رجاء أن أكون
أتيت رسول الله ببعض ما يحب ، فلما أتيت به قال : " اجلس اقرأ علي " . فقرأت ساعة ،
ثم نظرت إلى وجهه فإذا هو يتلون ، فتحيرت من الفرق ، فما استطعت أجزئ منه حرفا ،
فلما رأى الذي بي دفعه ثم جعل يتبعه رسما رسما فيمحوه بريقه ، وهو يقول : " لا تتبعوا
هؤلاء ، فإنهم قد هوكوا وتهوكوا " ، حتى محا آخره حرفا حرفا . قال عمر ، رضي الله
عنه : فلو علمت أنكما كتبتما منه شيئا جعلتكما نكالا لهذه الأمة! قالوا والله ما نكتب منه
شيئا أبدا . فخرجا بصلاصفتهما فحفرا لها فلم يألوا أن يعمقا ، ودفناها فكان آخر العهد منها
. وكذا روى الثوري ، عن جابر بن يزيد الجعفي ، عن الشعبي ، عن عبد الله بن ثابت
الأنصاري ، عن عمر بن الخطاب ، بنحوه وروى أبو داود في المراسيل ، من حديث
أبي قلابة ، عن عمر نحوه . والله أعلم .